مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 01 السنة 2023 ص 420 - 433

تاريخ الإرسال: 2022/01/30 تاريخ القبول: 2023/01/17
تاريخ النشر: 2023/02/16

صورة البرق في قصيدة عبيد بن الأبرص بين التّشكيل والرؤيا " مقاربة تأويلية "

The image of lightning in The Poem of Obaidibn al-Abras between formation and vision "Interpretive approach"

[1] د .ط مرناس مـصطفى ؛ [2] د. بن ضحوى خيرة
جامعة بومرداس (الجزائر) ؛ m.mernas@univ-boumerdes.dz
جامعة بومرداس (الجزائر) ؛ K.bendahoua@univ-boumerdes.dz
مخبر أطلس للدّراسات الشّعبية الجزائر 2

ملخص :

تسعى هذه الورقة العلمية معالجة إحدى المقطوعات الشّعريّة للشّاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص " وفق مقاربة تأويلية تقـوم على تحليل هذه المدونة ، انطلاقًا من التّشاكل البارز على مستوى مكونات الخطاب ثمّ اكتشاف علاقة هذا التّشاكل بنفسيّة الشّاعر وصولاً إلى انفتاح النّص عند مفترق تأويلات تُفرزها هورمونات دلالية ذات أبعاد متنوعة مستوحاة من عـمق البيئة الجاهليّة بلُغة منسـجمة وبشيء من الدّقة في تصـوير المشاهد بأسلوب فنيّ تُزيّنهُ براعة التّشبيه وقـوّة المجاز، ولابدّ من خيـالٍ يأخذكَ إلى اتّسـاع الفضاء المكاني ، وبُعد النّظر في لحظة وقـوف محدّدَةٍ بزمنٍ تَتبُّعْ الحوادث المتكرّرة في الطّبيعة ، إنّها إطلالة يزيل فيها شاعرنا الستّار من على خشبة الإبداع كي يدعونا إلى تشخيص النّظر وإعمال العقل ، لمشاهدة لقطة يلمع فيها البرق ويرعدُ فيها الرّعد مُحدثًا فينـا الاندهاش لهذا المنظر الذي يشبه

الألعاب النّارية في لحظة احتفال بالحدث ، هنالك تبرز قيمة هذا العمل الأدبي من خلال التّأثير في نفس المتلقي .

كلمات مفتاحية : خطاب ، تأويل ، انفتاح ، صورة ، التّشاكل ، ظاهرة .

Abstract :

This scientific article seeks to treat one of the poetic compositions of the poet, pre-Islamic Urbain Obaidi bine Al-Abras "according to an interpretive approach, based on the analysis of this code, based on the prominent pessimisms at the level of the components of speech. Then discover a relation, This homologation of the poet's psyche until the opening of the text, at a crossroads The comparison and the power of metaphor, and an imagination must take you into the vastness of spatial space, and consider a moment in a specific position, in a time that retraces, recurring incidents in nature.

Where the thunder refreshes us with astonishment at this scene that looks like fireworks at the time of the celebration of the event, there is the value of this literary work through the effect on the same recipient.

Keywords : speech , interpretation ,openness , morhology , phenomenon .

المؤلف المرسل: د. مرناس مصطفى :m.mernas@univ-boumerdes.dz

1 – مـقدمة:

لا نغالي إذا قلنا أنّ الشّاعر الجاهلي كان بمثابة آلة فوتوغرافيّة إنّ صحّ التّعبير تلـتقط من عمق الصّحراء صورًا يستمتعُ بها القارئ حينما يسبح في كلّ قول موزون مقفى، وحينما يقف عند كلّ محطّة يرصُدها هذا المبدع الذي ينقل لنا على مرمى البصر لقطات تبدو لنا عادية محضة، ولكنّها بالنّسبة له فيضٌ من الإبداع في

فضاء زماني ومكاني غامض، إنّها لحظةٌ يقف فيها الشّاعر يستحضر مكنوناته ليكشف لنا أسرار الطّبيعة بأسلوب رصين تختلطُ فيه الحقيقة مع الخيال.

لقد اتّصل الشّاعر الجاهلي بالطّبيعة اتّصالاً مباشرًا فانعكس ذلك في مطولاته وقصائده حيث تحدث عن الحيوان وعن الإنسان ، بل إنّه تتبع الظواهر الطّبيعيّة متأملاً حدوثها ورأى أنّها ستُمثلُ مادته الغنيّة بالصور الشّعريّة ليس هذا بل حاول في كثير من المواقف أن يجسد لنا ما لهذه الظّواهر من منافع وأضرار على الإنسان والكائنات الحيّة الأخرى، فوقف موقف المندهش الذي يتعجب وهو حائر يريد أن يجد لهذه الظّواهر تفسيرًا، إلاّ أنّه يجدُ نفسه يسبح باحثًا عن ذاته الحقيقية ، فمرّة يصف المطر ومرّة أخرى يصف البرق وقت حدوثه جاعلا من هذا المشهد لوحة زيتية مزخرفة بألوان تُمتع النّاظر في خطفة سريعة .

هكذا أبدع الشّاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص في قصيدته المشهورة عندما وصف البرق بأسلوب تطربُ له الأسماع، هذه العينة الفريدة من نوعها سنضعها تحت مجهر المقاربة التّأويلية لاكتشاف التّشاكل الموجود فيها من خلال اتّساع وعمق التّأويل وانفتاحه على دلالات مختلفة. فأين يكمن هذا التّشاكل في الخطاب؟ ماهي حدود هذا الخطاب؟ كيف صور لنا هذا الشّاعر هذه الظاهرة؟ هل توجد مسافة فيزيائية لحدوث ظاهرة البرق؟.

2 – الخطاب بين التّنوع الدّلالي والانفتاح التّأويلي:

قد يحمل الخطاب نوعًا من التّنوع، وهذا يفتح بابا للمتلقي، والعديد من التّأويلات التي تُعطي له افتراضات تجعله يقف موقف المتفحص لمادة خطابه ، لتحديد علاقة مكونات النّص ببعضها البعض ودلالتها من خلال نفسية المتلقي، " فالخطاب ذو بنية خاصة به ، ليست هي بنية التّحليل البنيوي أي بنية الوحدات المنفصلة المعزولة عن بعضها، بل بنية التحليل ألتآلفي، أي التو اشج والتّفاعل بين

وظيفتي التّحديد والإسناد في الجملة الوحدة " (ريكور، 2006، صفحة 36)، ذلك أنّ الخطاب يمثّل الجسم الذي يجمع بين عناصر متآلفة متفاعلة فيما بينها كالمواد الكيماوية التي تحصل لها أكسدة عندما تتفاعل بتأثير عوامل أخرى .

إنّنا ونحن نحاول الكشف عن الدّلالات العميقة لهذه المدونة القديمة، يجب أن نُحدّد بحقّ البنية الخارجية، ومن ثمّ نبيّن التعلق والتشكل الموجود بينها وبين بنية أصغر منها وهي البنية الدّاخلية، لنصل إلى نقطة التّأثير الوحدة الكبرى على الوحدة الصّغرى، ومن هذا المنطلق لابدّ من حصول تفاعل بين القارئ والنّص " فالتّلقي بمفهومه الجمالي ينطوي على بعدين مُنفعل وفاعل في آن واحد، إنّ عمليّة ذات وجهين أحدهما الأثر الذي يُنتجه العمل في القارئ ، والآخر كيفية استقبال القارئ لهذا العمل أو استجابته له " (ياوس، 1437 هـ – 2016 م، صفحة 110) وهذا يكفي لتفعيل القراءة التي تنُتج فيضـًا من التنوع الدّلالي عن طريق أداة التّواصل الفاحصة وهي القراءة العميقة التي تعتمد على الخزّان الثّقافيّ الذي يُعتبر المّحرّك لبلورة العمل الأدبي، وإنتاج دلالات تنفتح على تأويلات يمكن أن تنعكس في واقعنا على شكل رموز وإشارات أي " علينا أنّ ندفع التّحليل البنيوي إلى درجة العمق ينكشف معها معناه العميق ، وبهذا فإنّ الأشياء التي يقولها النّص لا تنكشف عبر قراءة ساذجة ، وإنّما عبر سبر بنائه وانتظامه " (حسن، 1992 م، صفحة 48).

بمعنى أنّ القراءة التّأويلية يجب أن تكون قراءة عميقة تتغلغل في النّص بشكل واسع يتحقّق فيها " الفهم الجوهري لمحتوى الحقيقية التي تنكشف بقراءة النّص ، وكذا الفهم القصدي أي بفهم مقاصد وأهداف المؤلف " ولذلك يكون لموقع القارئ دور مهمّ في الفهم والتّفسير والتّحليل " (الزّين، 2002، صفحة 37) ويظهر هنا براعته في خلق الإبداع الأدبي " ما سماهُ مسألة القارئ الضمني التي عُرف بها أيزر في النّقد الألماني خاصة ، والغربي بصفة عامّة ، ربما تُجسّدُ فكرة التّحوّل في

مفهوم الاستقبال من الاهتمام بالمؤلف أو الكاتب إلى أهمية القارئ " (الواحد، 1417هـ - 1996 م، صفحة 36)أي أنّ النّظرية التّأويليّة جاءت لبناء علاقة جديدة بين النّص والقارئ.

لتأتي مرحلة مهمّة في المقاربة التّأويلية وهي ما يُسمى عند "ياوس" بـ " أفق الانتظار " أو " أفق التّوقع " فهذا المصطلح لا يُمكن تجاوزه ، وخاصة إذا كان الدّارس بصدد تطبيق النّظرية التّأويل الجديدة في ميدان تطبيق المناهج المعاصرة على النّص الأدبي القديم ، فإنّه يحتاج إلى كسر الرّتابة في مضمون النّصوص الأدبيّة القديمة العهد ، وجعل طابعها حيويًّا قابل للاستمرار عبر الزّمن شريطة أن يمتلك المتلقي (المؤول) أدوات إجرائية تجعل النّص مفتوح على تأويلات مختلفة وبالتالي تتحقّق جمالية التّلقي كونها من أساليب التّذوق الأدبي، لتأتي مرحلة التّدرج في تفكيك وحدات النّص من خلال فحص المسافة الجمالية بين المتناقضات والاختلافات ومحاولة إبراز طبيعة التّشاكل بينها التي تحيلنا إلى أفق الاستشراف فإمّا أن يجيب من خلالها القارئ على افتراضات غامضة، أو أن يترك لغزًا آخر يُفكرُ فيه مؤول جديد للوصول إلى أفق توقعات جديدة ، وعلى أيّة حال " فإنّ القراءة فعالية تفترض قبلاً وجود نص (مجموعة من الرّموز اللغوية الواضحة بصريًا يمكن استخلاص المعنى منها وجود قارئ (فاعل له القدرة على استخلاص المعنى من ذلك النّص)، وتفاعل بين النّص والقارئ، بحيث يكون القارئ قادرًا على الإجابة عن بعض التّساؤلات التي تدور حول النّص " (كروسمان، 2007 م، صفحة 261)وهذه العناصر تُمثّل رموز نظرية القراءة التّي تتخذ من القارئ العمود الأساس لتحريك مجال التّأويل على مستوى الخطاب الأدبي .

وإذا عدنا إلى مدونة عبيد بن الأبرص فهي واحدة من القصائد المشهورة التي قالها في العصر الجاهلي كونها تقوم على بناء معماري تآلفي تجتمع فيه

حلقات من التّشاكل بين الصّور المجسدة في وصف البرق من خلال خطاب مبـاشر وفق خط عمودي نقطة بدايته الأرض حينما يقف الشّاعر يراقب البرق في ليل مظلم حـالك مُشخصًا بصره حتى يصل إلى مكان حدوث الـظاهرة وهو السّماء أي في دورة تخاطبيّة مختـلفة الأطراف بين مُخاطِب كونه من بني آدم وصـولا إلى المُخَاطَب وهو " ظاهرة البرق " وبين طرفا الخطاب نجد مسافة فيزيائية محـدّدة تُمثّل الفضاء المكاني الذي يظهر فيه ومـيض البرق ليلوح في الأفق نورًا يظهر فجأة ويختفي تارة أخرى ، فماذا يُمثّل البرق بالنّسبة للشّاعر عبيد بن الأبرص ؟ وما الدّاعي لرصد هذه الظّاهرة وتجسيد دلالاتها ؟ ماهي العناصر التي كونت النّص؟

يُفْتَحُ السّتار في قصيدة عبيد بن الأبرص على مشهدٍ رائع كأنّنا نُشاهدُه على التّلفاز بألوان تثير فينـا نوعًا من التّجاوب الفعّال في لحظة خاطفة بسرعة كبـيرة مُحدثَةً فينا رجفةً مُميزة، وتجـعل أصـوات صـدى البرق كنـقطة إنذار لتوقع ما سيحصل. فأين يمكن أفق الانتظار لهذه اللقطة المشوّقة؟

يقول عبيد بن الأبرص:

يا مَنْ لِبرقٍ أَبيتُ اللّيلَ أَرْقُبُهُ عَارِضٍ كَبَيَاضِ الصُّبْحِ لَمّاحِ

يقف الشّاعر موجّهَا عدسةَ بصره لرصد لقطة لا يُمكن تضييعها وخاصة في ليلٍ مظلم حالك في سكون، وفجأة يلمع البرق كنذير شؤم لما سيـقع بلونٍ نوراني يعم الكون متلألئ يرتسم كخطوط انكساريّة في مسافة فـيزيائيّة من الأعلى إلى الأسفل متبوعة بصوت انفجاريّ يشبهُ الألعاب النّارية تحت وقع سنفونية متقطعة من حين لآخر .

(السّحاب) كأنّه يكاد يُلامس الأرض ، لِيجدَ يَدًا تدفعهُ إلى حيث مكانه وهو أعلى السّماء وفق منحـنى متعاكس من الأسفل إلى الأعلى في هذه اللحظة يرسـم الشّاعر للجمهور صورة جميلة تدّل على الخصب والنّمـاء ترمز لسرّ الحـياة

وهذه الصّورة هي " نزول الرِّيق (أوّل الغيث)" على قمة جبل " شَاطبْ " ليربط هذه الصّورة المتشاكلة في علاقة مشابهة بين السّحاب عند ملامسته قمة الجبل الذي يُشبهُ ببياض الخاصرة (جنبه ما بين عظم الحوض وأسفل الأضلاع)، في خط متناظر مع الأبلق أي الفرس الذي فيه سواد وبياض حينما يدفعُ الخيل برجليه، وهنا تبرزُ لنا علاقة المشابهة بين السّحاب الذي فيه سواد وبياض حينما يكون مُحمّلاً بأمطار غزيرة يتخذُ هذين اللونين، وبين الفرس العنيد التّي يكون على شعرها اللونين الأبيض والأسود فهي تدفع الخيول الأخرى وتُنفّرُهَا فتتفرّق في اتّجاهات مختلفة .

دَانٍ مُسِفٌّ فُويقَ الأرضِ هَيْدَبُهُ يكاد يدفعُهُ منْ قَامَ بِالرَّاحِ
كَأنّ رَيِّقَهُ لَمّا عَلَا شَاطِبًا أَقْرَبُ أَبْلَقَ يَنْفِي الخَيْلَ رَمّاحِ

يستمّرُ المشهد والأبصار تُشاهد بدّقة متناهية في الأفق لما سيحدث ويُغْلَقُ السّتار في مدّة زمنيّة كرمشة العين لِيحصُلَ تشويش على مستوى حاسة البصر ثمّ يُفتحُ مرّة ثانية ، لُيُصْدَمَ كلّ المشاهدين على جَلْبَةٍ صاخبة يتبعها صوتٌ انفجاريّ فيحصل اهتزاز وتَحرّك السّحب وكأنّ عيونَ الأرض تريد أن تتفجر وتتنفس من الحِمل الثّقيل الذي تُخزّنهُ، وفجأة على لمح البصر تبكي السّماء مُنْزِلَةً دُمُوعًا غزيرةً بردًا وسلامًا ، وقد جعلت النّاظر يتأثر لهذا السّيل المنهمر الذي يَعزفُ في أذُن السّامع مقطوعات كلاسيكية توحي بالرّهبة، تُذكّرهُ بأنّ هنالك صانعًا مُبدعًا قد جعل من هذا الكون جنّةً تعددت فيها سُبُل الحياة ألا وهو الله عزّ وجل المعبود بحقّ .

فالْتَجَّ أعلاهُ ثمّ ارْتَجَّ أسْفَلُهُ وَضَاقَ ذَرْعًا بَحَمْلِ المَاءِ مُنْصَاحِ
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفَلِهِ والمسْتَكِنُّ كَمَنْ يمْشي بِقِرْوَاحِ

ويتواصل فعل المشاهدة على ضربِ أوتار سقوط الغيث ، هذا الغيث من شدّة قوّته قد أحدث انجرافًا على مستوى التّربة فهو سيلٌ لا يمكنُ أن ينجو منه أحد

لا البعيد ولا القريب ، ولا الظاهر ولا المختبئ وقد عمّ أرجاء المعمورة بما فيها الجبال والأوديّة جارفًا كلّ شيء يصادفُهُ في طريقه ، وأدرك النّاس في بيوتهم .

تنطفئ الأضواء وتختفي تلك اللوحة الرّائعة التي ارتسم فيها هطول المطر بشدّة ، لِتَحْضُرَ ذات الشّاعر بعــدما كانت وراء السّتار بعيدة عن أعين الجمهور ليرسمَ لنا الشّاعر صورة أخرى يُدمجُ فيها رمزًا مُقدَّسًا في حياته وبيئته الجاهلية ألا وهو الناقة فيضعهُا موضع السّحاب المّحمّلِ بالمطر ، وهنا يحصل تشاكل من خلال إجراء مقارنة بين النّاقة المُسنّة التّي ولدت وقّرُب صغيرها على المشي ، فهي كثيرة الوبر غزيرة اللبن مسترخية ، مبحوحة الصّوت ترعى أولادها في سلام وأمان مطمئنة في أرض خصبة قد دبت فيها الحياة بعد هطول المطر فأحيى فيها النّبات وامتلأت ربوع الأرض بالمياه الصّافية ، حال هذه النّاقة حالها حال السّحاب المُحمّلة بالمطر الغزير ، وهنا نلمح في هذا المشهد التّصويري براعة التّشبيه ، وقوة المجاز عند شاعرنا عبيد بن الأبرص لأنّه يُصنفُ من الشّعراء البارعين في نظم أجود الشّعر .

كأنّ فيهِ عِشَارًا جُلَّةً خُرُفًا شُعْثًا لِهَاميمَ قدْ همَّتْ بارْتِيَاحِ

بُحًّا حَنَاجِرَهَا هُدْلاً مُشَافِرُهَا تَسيمُ أولادها في قَرَرٍ ضاحي

يُسدلُ الشّاعر السّتار ويجلس مع الجمــهور جنبًا إلى جنب يستمتع بألحان هادئة تعزفها رياح جنوبيّة خفيفة كالنّسيم دافعة السّحاب ليتلاشى كالسّراب ، وتظهر الشّمس معلنةً بقدوم يومٍ جديد ، لترتســم صورة الحياة بكلّ ما تحمله من أشكال وألوان تأخذنا إلى عالم عجيب ، وتأسرنا في لحظة المشاهدة وينتهي المشهد على حفـيف إغلاق السّتار الذي يدل على انتهاء عرض المشاهد .

هَبّتْ جنوبٌ بأعلاهُ ومَالَ أعجازُ مُزْنٍ يَسُحُ الماءَ دَلاّحِ

لقد تنوّعت الصور والمشاهد في هذه القصيدة التي تضرب بنا إلى عمق جـذور تاريخ العصر الجاهلي ، لِتكوّن لنا سيناريو من المشاهد المرعبة التّي هزّت نفسيّة الشّاعر ، وجعلته في موقفين متناقضين موقـف يُحسُّ فيه بالمتعة واللّذة لمتابعة عملية حدوث هذه الظّاهرة ، وموقف الذُّهول والفزع لما سينجرُ عن مخلفات البرق الذي سينتج عنه هطول المطر الغزير المتمثل في السّيل المنهمر قويّ التأثير ، وهذا كلّه دليل على التصاق الشّاعر الجاهلي بشكل مـباشر مع بيئته وما يحيط حوله من مكونات الطّبيعة ، لذا لابدّ علينا أن نقف عند أفق التّوقعات لإبراز مدى تفاعل مكونات الخطاب فيما بينها :

أفق التّوقع = لحظة وقوف الشّاعر لرصد الظاهرة .

الواقعة الشّعرية = تتبع الظاهرة وتصوير مجريات حدوثها .

كسر أفق التّوقع = الشّاعر يطمئن لهدوء حالة الطّقس .

إنّ هذا التدرج والتّنوع الذي تعدّد بأشكال مختلفة في سياق المشاهد التي جاءت في قصيدة عبيد قد ولّد حيزًا من المفارقات رسمت بدورها مجموعة من التّناقضات والمتضادات ، من خلال تفـــاعل وتواشج وتآلف المكونات الكيميائية أي (الدلالات العميقة) للألفاظ من حيث المبنى والمعنى ، في فضاء زماني مّمثّل بنقطة (و) وهي لحظة وقوف الشّاعر يصحبها فعل حاصل (تشخيص بصري (حاسة البصر) / زمن الوقوف (الليل) / مكان الوقوف (الأرض البيئة الجاهلية)

ليتشاكل مع حـدث مقـترن بزمن (بداية تشكّل السّحاب) /

(حدوث ظاهرة البرق) / مخلفات ظاهرة البرق (المطر) .

ومن هنا يمكننا استنتاج معادلتين الأولى رياضية إذا كان زمن الوقوف هو(و) وزمن حدوث الظـاهرة هو (ح) وزمن توقف حدوث الظّاهرة هو (س) الذي

هو مجهول ، فما الزمن الذي استمر فيه سقوط المطر ؟ وما هي دلالة كلّ من الرّموز الكيميائية السّابقة بالنّسبة للشّاعر ؟

(و) + (س) = ح وهنا نصل إلى حلّ المعادلة كالآتي :

س = و – ح أي يمـكن ترجمتها بما يلي بين (و) و(ح)

أفق الانتـظار والتّوقع وهو (المجهول س) والذي يُحيلنا في القصيدة إلى مسافة جمالية تُمثّل مقدار مخالفة النّص لتوقعات القارئ بحصول نوع من الاختلاف والمشاكلة أثناء عملية التّأويل ، وهذا ما يجعلنا نحن نُعيد بناء أفق الاستشراف من جديد انطلاقا من تطبيق فعل القراءة والفهم بصورة عميقة أكثر في الدّلالات العميقة .

أمّا المعادلة الثّانية فهي معادلة كيميائية : إذا كان السّحاب يمثّل الجزيء (O) والبرق يمثل الجزيء (N) والمطر يمثّل الجزيء (HO2) فإنّنا نستنتج المعادلة الكيميائية التّالية : 0 + N + HO2 = تفاعل ، و يمكننا تفسيرها على مستوى بناء القصيدة أنّ مراحل حدوث الظّاهرة ناتج عن تفاعلات بين عناصر ومواد داخل السّحاب وهذا التّفاعل يّمثّلُ بالنّسبة للشّاعر حالته النّفسيّة ، أمّا لحظة حدوث البرق وتتبع حدوثه فيمثّل جزءًا من مراحل حياته ، في حين نزول المطر هو بمثابة تطهير لنفسية الشّاعر من كلّ ما يُعكّر صفوَ حياته ، أمّا هبوب الريّاح الخفيفة بعد نهاية حالة من الاضـطراب الجويّ فمثّلت عودة الحياة لدى الشّاعر وأعطته أفق الاستـشراف كي يُكمل حياته في بيئته التي ترعرع فيها بين عشيرته وأقوامه .

3 – المفارقات اللونيّة في القصيدة :

حَفِلَت القصيدة بكثير من المفارقات جعلت حمولتها ثقيلة من حيث انفتاح الدّلالات على أفق رحب يتسعُ مرة ويضيق مرة أخرى مرتبط بمسافة جمالية واستراتيجية محكمة وهذه المفارقات سنعرضها كالآتي :

1.3 العناصر المُكونة للقصيدة ودلالتها الرّمزية :

تتكون القصيدة من مكونين هما : السّحاب والبرق ويمكن تحديد المفارقات اللّونيّة لهذين المُكونين :

السّحاب ويُمثّلُهُ ثلاثة ألوان وهي :

– اللون الرّمادي ودلالته الرّمزية توحي بالانطواء والوحدة .

– اللون الأبيض ودلالته الرّمزية توحي بالسّلام والاطمئنان .

– اللون الأسود ودلالته الرّمزية توحي بالشّؤم .

البرق ويُمثّلُهُ لون واحد وهو :

–اللون الأبيض ودلالته الرّمزية توحي بالسّلام والاطمئنان .

2.3 المفارقات اللونية ودلالتها الرّمزية في سياق الخطاب :

يُمثلُ امتزاج الألوان الثّلاثة (الأبيض) ، (الأسود) ، (الرّمادي) الحالة النّفسيّة للشّاعر عبيد بن الأبرص وهذه الحالة يمكن وصفها بالاضطراب .

بالمقابل توحي الدّلالة الرّمزية للون الأبيض في سياق الخطاب بأنّ الشّاعر يأمل أن تكون حياته واضحة كوضوح البرق .

من خلال عرضنا لهذه المفارقات اللونية من حيث الدّلالة الرّمزية وكذا دلالتها في سياق الخطاب نلاحظ أنّها جاءت مناسبة لمقام الوصف ، وبالتالي انعكست هذه الألوان على الحالة النّفسيّة التي يعيشها الشّاعر .

4 – المتضادات وتشاكل الصّور :

وإذا أكملنا رحلتنا هذه وبحثنا المتضادات التي جعلت من موازين القصيدة بحرًا من التناسق والانسجام بين تقابل يُزَخْرِفُ الكلام، فإنّا لا نجد التّضاد بوضوح إلاّ في بعض الأبيات بدّقة ،في حين نجدُ بعض المتضـادات لا تظهر بشكل واضح إلاّ إذا أمعنا النّظر فإنّنا سنجد لكلّ ضدّ عبارة أو جملة تقابله ومن ثمّ سيُضفي هذا التّضاد حسنًا وجمالاً يُزيّنُهُ براعة التّمثيل للصّورة و يمكن حصر أفق هذه المتضادات من خلال دائرة التشاكل والتّقابل .

نلاحظ من خلال تأملنا الخطاب الشّعري فإنّنا نلاحظ قراءتنا قراءة تأويلية يبدو أنّ نسبة توظيف الشّاعر للصّور البيانيّة قد شغلت حيزًا كبيرًا ، أمّا نسبة استعمال المحسنات البديعية ، فإنّنا نلمح أنّها كانت ضئيلةً .

إذن يمكننا تفسير هذه المفارقة أنّ الشّاعر عبيد بن الأبرص كان معظم شعره كثير المجاز والتّشبيهات فلم يكن من الشّعراء الذين يهتمون بالتّنميق والزّخرفة اللفظيّة كون الصّور تمثّل الفضاء الرّحب الذي يسبح فيه الشّاعر في اتّساع وشساعة المساحة التّي تُمثّل بيئته ، أمّا بالنّسبة لهذه القصيدة فكانت الصّور البيانية خادمة لمقام الوصف وأعطت للشّاعر أدوات إجرائية مكنته من التّلاعب في رسم صورة البرق بشكل رائع ومشوق مع استعمال الحواس لتحديد اتّجاهات أفق التّوقع البعيد والقريب ، في منحى عمودي من الأعلى إلى الأسفل أو من الأسفل إلى الأعلى ، وكذا وضع الصّور والمشاهد في وضعية للانفتاح على تأويلات أبعد من أفق التّوقع لدى الشّاعر .

لقد كان الشّاعر عبيد واسع الخيال متفوقًا في وصف الظّاهرة ، بحيث رسم لنا صور الحياة الإنسانيّة آنذاك ومثّلها بالظّواهر التي تحدث في الطّبيعة، كما أنّه جسدها في صورة حيوانات، لينقل لنا المشاهد بشكل مؤثر هنالك وضع معالم

شعره وخطَّ بقلمه لوحات متعدّدة الألوان والأشكال تعبّر بصدق عن ارتباطه الوثيق بكلّ ما يحدث حوله .

5 – خاتمـــة :

في ختام هذه المغامرة البحثّية الشّيقة يمكنـنا القول أنّ مجال التّأويل مجال مفتوح على زائد ما لانهاية من التّأويلات المختلفة لدى كثير من القراء المتمكنين الذين يملكون حسّا نقديًا مُتشبّعًا بمـخزون ثقافيّ يعتبر المحرّك لعـملية التّأويل ، أمّا بالنّسبة لحدود التّأويل فتبقى هذه المسألة متعلقة في كيفية تطـابق أفق توقع النّص مع أفق توقع القارئ كون ذلك من الشّروط الأساسيّة في هذه العملية ، ومهما يكن فإنّ ولوج أي نص أدبيّ قـديم يتطلب امتلاك أدوات إجرائية لدى القارئ الذي يُعتبر المؤول الفاعل ، في حين لابدّ من إعادة ردّ الاعتبار للنّص التّراثي من خلال إيجاد العلاقة بين القارئ والنص بطابع جديد من خلال مشاركة القارئ في إنتاج المعاني وتوليـد دلالات جديدة حتى يتحرّر النّص من عـبودية الزّمن والبيئة والظروف الاجتماعية من أجل نقله إلى واقعنا اليوم بميكانيزمات جديدة تُحدثُ طفرة وراثيّة فريدة ومُتفردة تتميّز بالتّنوع و تحمل في جوهرها القيم الأصيلة مُترجمة في تلك الكتابات الإبداعية بأقلام جسدت الحياة بكلّ ما تحملها من تغيرات ، وأعطت لنا قرصًا مضغوطًا نشاهده كلما راودنا الحنين والتّعـطش إلى ذلك الزّمن الغابر زمنٌ يستحضر فيه شاعرنا الفذّ كوامن الإبداع ببراعة في الأسلوب وحسن التّخلص كي ينقل بآلة تصويره أجمل الصّور ، ويُبيّن لنا أنّ حياته كانت مخـتلفة عن حياتنا وخير دليل الشّاعر عبـيد بن الأبرص الذي نقل لنا تجربته الرّائعة ، وجعلنا نُبحر في خياله فأخذنا بعيدًا وأمتعنا بصور ومشاهد جعلتنا نعرف أنّ قيمة العمل الأدبي تكمن في القدرة على الإبداع ، وكمحصلة لهذه الورقة العلميّة تلخصت لدينا مجموعة من النّتائج نذكرها كالآتي :

1 – مجال التّأويل لا حدود له وهذا راجعٌ لامتلاك القارئ أدوات إجرائيّة تجعل الخطاب مفتوحًا على قراءات متعدّدة .

2 – أفق التّوقع يجعل القارئ يقوم بسد الفجوات بقراءة أولى وثانية وحتى ثالثة .

3 – العمل الأدبي يحمل إيديولوجيات لها علاقة ببيئة الشّاعر وثقافته وتجربته .

4 – تُولَدُ التّجربة عادة من حالة نفسيّة أو ظاهرة طبيعيّة تجعل الشّاعر يسافر إلى عالم آخر بحيث تدعوه الظاهرة للتّأمل .

5 – ارتبط الشّاعر الجاهلي ارتباطًا قويًّا ببيئته التي هي مصدر الإلهام وهذا ما لاحظناه في قصيدة عبيد بن الأبرص الذي يحاكي الطبيعة بأسلوب تكثرُ فيه الإيحاءات والدّلالات .

قائمة المصادر والمراجع

- بول ريكور. (2006). نظرية التأويل – الخطاب والفائض المعنى –. (سعيد الغانمي، المترجمون) الدّار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
- حسن بن حسن. (1992 م). النظرية التّأويلية عند بول ريكور. (د . محمد سبيلا، المترجمون) المغرب: دار تينمل للطّباعة والنّشر – مراكش.
- د . محمد عباس عبد الواحد. (1417هـ – 1996 م). قراءة النّص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي. القاهرة: دار الفكر العربي.
- سوزان روبين سليمان و إنجي كروسمان. (2007 م). القارىء في النّص – مقالات في الجمهور والتّأويل. (د. حسن ناظم و علي حاكم صالح، المترجمون) ليبيا: دار الكتب الجديدة المتحدة .
- محمد شوقي الزّين. (2002). تأويلات وتفكيكات – فصول في الفكر الغربي المعاصر. المغرب: المركز الثّقافي العربي – الدار البيضاء المغرب –.
- هانس روبيرت ياوس. (1437 هـ – 2016 م). – جمالية التّلقي من أجل تأويل جديد للنّص الأدبي. (د . رشيد بن حدو، المترجمون) منشورات الاختلاف.